



## الفصل الخامس والعشرون

### الشیطان

العاشر من آذار عام 2007م



إنّ كابوس الدون فايو هذه المرّة - من برشلونة - يتعلّق بفتى في سنّ التاسعة عشرة يُدعى ليوميسي. برغوث أرجنتيني يفسد احتفاله (فايو). لم يسبق لكاييلو الفوز على أرض البارسا (لا مع يوفنتوس، أو روما، أو ريال مدريد)، وكان على وشك تحقيق ذلك، عكس التوقّعات كلّها. لكنّ الرجل الصغير انبرى وعدّل النتيجة مرّة واثنين وثلاثاً، وحين بدأ أنّ المباراة ستدين لهم (ريال مدريد)، أخرج أفضل ما في جعبته في الدقيقة الأخيرة؛ وأخذ يحاور بسرعة متجهّاً صوب منتصف منطقة الجزاء، ليضع الكرة في المرمى، وتنتهي المباراة بنتيجة (3-3). يشعر كاييلو وفريقه بشعور الطفل الذي أخذت منه مصاصته وهو يهم في أكلها.

كان ديربي إسبانيا - من دون أدنى شكّ - غريباً، مثيراً، متقلّباً، مليئاً بالأهداف. بدأت المراسم بنزول قائدي الفريقين؛ بويول وراؤول إلى أرض الملعب، وهما يتضرّعان بالدعاء. دعاء يحتاج إليه كلا الفريقين؛ إذ يتعيّن على البارسا محو مرارة الخروج من دوري أبطال أوروبا، من ذاكرة (98) ألف مشاهد تفص بهم مدرّجات ملعب كامب نو، في حين يخوض ريال مدريد مباراة مصيرية؛ مباراة الفرصة الأخيرة لمواصلة المنافسة على اللقب.





## هيسي

تشير التوقعات المعتادة إلى أن البلاوغرانا سيستحوذون على الكرة، وأنهم المرشّحون لتحقيق الفوز، وأنهم سينتشرون في الملعب بأسلوب (3-4-3) الجريء، وبذلك تصبح الرقابة على لاعبي الريال أقلّ من المعتاد. يصعب التكهّن بنتيجة مباراة مثل هذه؛ فريال مدريد يؤدي على نحوٍ مغاير أمام الغريم التقليدي بصرف النظر عن مستواه في البطولة. وبعد خمس دقائق فقط، وعلى عكس التوقعات، يتقدّم الريال بهدف.

يمرّر اللاعب الأشقر غوتي الكرة لهيغواين على الجهة اليسرى. يمرّر الأرجنتيني الشاب كرة لا تفوح منها رائحة الخطورة، لكنّ تورام هو مَنْ يحوّلها إلى كرة خطيرة، حيث يحاول إبعادها ويخطئ، لتصل إلى قدمي نستلروي، فيسدّد هذا الهولندي من خارج منطقة الجزاء.

محاولات اعتراض فاشلة للكرة من بويول وفالديز، فتستقرّ الكرة في المرمى (0-1). وحينئذٍ، تظهر على مٌحيا ريكارد ملامح الانفعال والتوتر. ثمّ يظهر ليو ميسي بعد ذلك بخمس دقائق، ويتلقّى تمريرة في العمق من تشافي، فينفرد بكاسياس وجهاً لوجه. لاعبو الريال مصدومون. إنّه هدف التعادل.

يرزح المدافعون في كلا الفريقين تحت ضغط شديد. ومن الملاحظ أنّ التوتر والغيظ قد فعلا فعلهما بأوليغير لاعب البرسا؛ فينتهي به المطاف مطروداً في الدقيقة الخامسة والأربعين، بعد تلقيه الإنذار الثاني من خطأ ارتكبه في حقّ غاغو. وكان قد تلقى الإنذار الأول في الدقيقة الثانية عشرة حين أمسك بغوتي داخل منطقة الجزاء. ضربة جزاء، وبطاقة صفراء، وفان نستلروي لا يضيع الفرصة. أمّا فايو كايبلو فلا يُصدّق ما يرى. وكان الرئيس قد شدّد عليه ألا يخسر المباراة. أمّا أن يتقدّم في النتيجة فذلك أمر يمنحه فرصةً لتنفّس الصعداء.





لا يطول الأمر كثيراً؛ إذ يُثبِت ميسي مرّةً أُخرى أنّه مثل الكابوس، فيُسدّد كرة مرتدة من كاسياس. إنّها كرة ليست بالسهلة، لكنّه يتمكّن من التسجيل. يجب التنويه هنا بأنّ الفضل في إحراز هذا الهدف يُعزى إلى رونالدينو، الذي استيقظ أخيراً من سباته. يواظب ميسي على تنفيذ ما هو ماهر في عمله، فيغربل لاعبين أو ثلاثة، ثمّ يلعب الكرة بطريقة (واحد-اثنين) مع إيتو، ثمّ يُسدّد على كاسياس الذي يتمكّن من التصدي للكرة في المرّة الأولى، لكنّه يعجز عن ذلك أمام تسديدة ميسي المفاجئة. أربعة أهداف في سبع وعشرين دقيقة؛ هذا هو أسلوب العرض الذي يحبّ الجمهور الإسباني مشاهدته. يبدأ البارسا بالتحكّم في المباراة بعد التمكن من العودة بالنتيجة.

دفاع الريال في حيرة، اللاعب الذي طرد كان من برشلونة لكن عندها يأتي الطرد، فيمضي «برشلونة» الشوط الثاني بعشرة لاعبين. وفي هذه الأثناء، يقوم ريكارد بسحب إيتو من الملعب، ويدفع بسلفينهو بدلاً منه. يستمر البلاوغرانا في سيطرتهم واستحوادهم على الكرة، لكنّ الريال ما زالوا قادرين على تهديد البرسا؛ ما يجعل الأفضلية معرّضة للضياع في أيّ لحظة. وفي غمرة الأحداث وتسارعها، يُنفذ غوتي ركلة حرّة، فيقفز سيرخيوراموس وبويول لملاقاة الكرة. وينجح مدافع الريال بلمسها بمؤخّرة رقبتة، فتضرب الكرة العارضة، لتتهادى داخل المرمى. ولكن، هل انتصر الريال؟ لا؛ إذ يظهر ميسي مرّةً أُخرى لينقذ البرسا، ويُبقي على فارق النقاط الذي يفصلهم عن الريال. وبذا، يعود كاييللو إلى المشكلة المعهودة نفسها.

لوكا كيولي، صحيفة كوريري ديلا سيرا، الحادي عشر من شهر آذار عام 2007.

يبدو أنّ كاييللوني ما يمكن لميسي أن يفعله. والغريب أنّه سأل عن ذلك الشيطان (كما أسماه) بعد إحدى مباريات بطولة كأس خوان غامبر، في





## ميسي

الرابع والعشرين من شهر آب عام 2005م، حين أصاب ليودفاع يوفنتوس (كان كاييللو حينها مدرّب نادي يوفنتوس) بالجنون، وتسبّب في حصولهم على ثلاث بطاقات صفراء، ثمّ صنع هدفًا، وظلّ يُشكّل خطورة طوال التسعين دقيقة. لكنّ يوفنتوس نجح - في نهاية المطاف - في خطف الكأس بعد فوزه بفارق الركلات الترجيحية (5-6). ولكن ذلك لم يحلّ دون اختيار ميسي بوصفه أفضل لاعب في المباراة، وعدّه المفاجأة السارة التي حملها اللقاء. وقد مازح فاييو كاييللو الذي عرف وقتها عظمّ الموهبة التي يمتلكها هذا اللاعب الشاب، فرانك ريكارد قائلاً: «حسنًا، إذا لم يكن لديكم مكان له في التشكيلة الأساسية، فأعطونا إيّاه، سنوفّع معه في الحال».

ربّما اعتقد فاييو كاييللو أنّ الأمور كلّها ستكون على ما يرام بالنسبة إليه، في ليلة العاشر من شهر آذار عام 2007م، مثلما كان عليه الحال في الثاني والعشرين من شهر تشرين الأول عام 2006م على ملعب البرنابيو. فقد حقّق البلاנקوس انتصارًا عظيمًا (0-2)؛ ومديره في قمّة السعادة بسبب هذه النتيجة، وميسي قدّم كلّ ما لديه على مدار سبعين دقيقة على الأقلّ؛ تمريرات دقيقة بالقدم اليسرى، وصناعة فرص أهدرها زملاؤه، واختراقات لمنطقة الجزاء. لقد تمكّن من فعل ذلك كلّ على الرغم من كثرة التدخلات الخشنة التي قام بها إيميرسون ضده؛ تدخلات أدت إلى إصابته بالتواء في الكاحل الأيمن، وتحديدًا في الرباط الجانبي الخارجي، يغيب على إثرها أسبوعًا عن الملاعب. لكنّه لم يتمكّن من التسجيل في تلك المباراة.

تُقلّب الطاولة هذه المرّة. فهل يحمل ميسي على ألدون فاييو الذي كان وقتئذٍ مدرّبًا للمنتخب الإنجليزي (مدرّب المنتخب الروسي الآن)؟ قطعًا لا. هل القضية أنّه محظوظ عندما يلعب ضد كاييللو؟ ذلك ليس صحيحًا أيضًا. الأمر برمّته مختلف. يقول ميسي: «اللاعب أمام ريال مدريد تحديدًا من شأنه تحفيز





أيّ لاعب». تلك حقيقة كان قد أثبتّها أول مرّة وطُتّ فيها قدماء ملعب البرنابيو في التاسع عشر من شهر تشرين الثاني عام 2005م.

حُضرت تلك المباراة في أذهان كلّ مَنْ شاهدّها؛ بسبب الأداء المذهل الذي قدّمه رونالدينو (سجّل هدفين خارقين، فضلاً عن أشياء كثيرة أخرى فعلها)، ووقوف اثنين من مشجعي الريال لتحية لاعب البارسا صاحب الرقم (10). تلك كانت لقطة (مشهد) المباراة المميّزة ولا شكّ. لقد كانت أمراً لا ينسى. ظهرت اللقطة على محطات التلفزة جميعها. وهو أمر حفز المحرّرين والصحفيين إلى البحث عن المشجعين اللذين كان أحدهما ذا شارب أسود والآخر مُلتحياً، وكانا يصفقان واقفين على أقدامهما. ودّ رجال الإعلام معرفة السبب الذي جعلهما يؤديان تلك التحية لرونالدينو. فماذا كان جوابهما؟ كيف لا يصفقان للاعب النجم، وللشحر الذي نثره في الملعب، حتى لو كان ذلك بحركة بسيطة تم عن روح رياضية؟! ولكن، كما بهر رونالدينو كلّ مَنْ على المدرّجات بأدائه، كذلك فعل ليو.

#### لنطالع أبرز لقطات تلك المباراة:

- الدقيقة الثالثة: سيرخيو راموس يشعر بأنّ الطريقة الوحيدة لإيقاف البرغوث هي عرقلته، ويقوم بذلك فعلاً، على حافة منطقة الجزاء في مواجهة المرمى.
- الدقيقة الخامسة عشرة: ليويعدّ كرة لإيتو بعد حركة رائعة، ولا يتوانى هذا الأخير عن وضع الكرة في الشباك. الدقيقة السادسة والعشرون: ميسي يسرّع من إيقاعه بصورة رائعة تاركاً روبرتو كارلوس عاجزاً.
- الدقيقة الثلاثون: ميسي يخترق خطّ الدفاع، لكنّ إيكر كاسياس كان له بالمرصاد. بإمكان البارسا تسجيل هدف ثانٍ. يراوغ رونالدينو في الدقيقة الأربعين، ثمّ يرسل الكرة عرضية لميسي، لكنّ رأسية هذا الأخير تحيد عن





## ميسي

المرمى. يحاول ميسي مرّةً أخرى في الدقيقة السابعة والأربعين، لكنّ كرته ابتعدت عن خشبات المرمى بعد ارتطامها بأحد المدافعين. وفي الدقيقة الخامسة والخمسين يتمكّن كاسياس من صدّ تسديدة ميسي الثالثة. ثمّ يخرج ميسي في الدقيقة التاسعة والستين تاركًا مكانه لإنيستا. لقد أثبتت الدقائق التي قضاها في اللعب، والمهارات التي استعرضها، أنّه الكلاسيكو الأول، كلّ ما كان ينقصه، ليكتمل أداءه الذي تميّز بالسرعة والحركة والتمريرات القاتلة؛ هو التسجيل. لكنّ أفضل مشهد يعلّق في الذاكرة بخصوص تلك المباراة؛ هو الكمّ الهائل من الشجاعة التي أظهرها في أول مباراة له أمام الغريم التقليدي، وعدم خشيته من أيّ شخص أو أيّ شيء، حتى إنّّه لم يُظهر ولو القليل من الرهبة كما وصفها مواطنه خورخي فالدانو، وتمكّن من إثبات ذلك في مختلف أرجاء الملعب. وأخذ بزمام المبادرة، وتحمّل المسؤولية على الرغم من وجود نجوم في الفريق على غرار الملهم رونالدينو، وإيتو الذي كان في أوج عطائه.

تلك مشاعر سيُعبّر عنها الكثيرون؛ تأكيدًا، ومخالفًا، ثمّ تأكيدًا من جديد، وهكذا دواليك. من المؤسف أنّه (ليو) سيغيب عن لقاء الإياب نتيجة الإصابة التي تعرّض لها في مباراة تشيلسي. إنّها الإصابة نفسها (ولكن في الساق الأخرى) التي سيعانيها في الخامس عشر من شهر كانون الأول عام 2007م، في مباراة الفريق أمام فالنسيا على ملعب مستايا؛ أي قبل خمسة أيام من الكلاسيكو. ألم حادّ في الساق اليسرى، الرأس مطأطئ، ليو يعضّ على قميصه وهو يهجمّ بمغادرة الملعب. وداعًا للكلاسيكو.

يتعيّن على البارسا اللعب أمام ريال مدريد من دون اللاعب الذي صنع الفارق منذ بداية الموسم. وتؤكد الصور فوق الصوتية الأمر؛ تمزّق في العضلة الثنائية الرؤوس بالفخذ اليسرى، ما يعني غيابًا عن الملاعب يمتد ما بين أربعة إلى خمسة أسابيع (سيلعب مجددًا بعدها بستة وثلاثين يومًا؛ أي في العشرين



من كانون الثاني تحديداً، وذلك ضد رايسنغ سانتاندير). وسيعاني الإصابة مرّة أخرى في الرابع من شهر آذار عام 2008م، في ربع نهائي دوري الأبطال، في المباراة التي سيخوضها فريقه أمام فريق نادي سيلتيك على أرض هذا الأخير. تمزّق آخر بالفخذ اليسرى؛ تبعه غياب مدته خمسة أسابيع أخرى.

قد يتبادر إلى الذهن سؤال مهم، هو: لماذا يعاني ميسي تلك التمزّقات والكسور كلّها، لدرجة أنّ الجميع بدؤوا يُسمّونه النجم الخزفي؟

الأم عضلية متراكمة، وإصابة قديمة لم تُشَفَ كما يجب، ونقص في الإحماء، وضغط نفسي، وتوزيع غير متوازن للجهد على العضلات، ونمط مغلوطن يغفّل الحياة المهنية، واصطدام مباشر، واختلاف مزعوم في طول الساقين... تلك كانت بعضاً من أسباب تعرّضه للإصابات. أضف إلى ذلك أنّ التعقيد الذي تميّز به البنية المأبضية (العضلات المفصلية) يجعل من الصعب معرفة سبب الإصابة بدقة، ما يبطلّ من عملية تعافي اللاعب منها. أمّا في حالة ميسي فيعزي بعضهم الأمر إلى وضعه الجسدي، وبنيته العضلية والعظمية، وإلى مشكلات في النمو ناجمة عن الهرمونات. ولكن، في أيّ حال من الأحوال، يصعب تحديد السبب بدقة، حتى بالنسبة إلى الأطباء في نادي برشلونة، الذين هاجمهم الصحافة أكثر من مرّة لعدم دقتهم في تحديد المدّة اللازمة للتعافي من الإصابات. يشرح خورخي ميسي ذلك بقوله: «لقد قالوا لي: إنّ كتلته العضلية تتكوّن من ألياف انفجارية، كتلك التي يمتلكها العدّاؤون. وذلك هو سبب السرعة التي يميّز بها، لكنّ إمكانية التعرّض لكسر واردة جداً. ليوعي جيداً أنّ عليه الانتباه لنفسه في الأوقات كلّها».

لنغلق موضوع الإصابات، ولنكمل قصة كلاسيكو العاشر من آذار عام 2007م. علمًا بأنّ تلك القصة تتضمّن حديثاً عن إصابة هي الأخرى. ليوغائب عن الملاعب منذ تسعة أسابيع، ولكن هذه المرّة ليس بسبب مشكلة عضلية،





## ميسي

وإنما بسبب حادث في أثناء إحدى المباريات. ففي الثاني عشر من شهر تشرين الثاني عام 2006م، خاض الفريق مباراة أمام فريق ريال سرقسطة، وفيها داس مدافع الفريق الخصم، إلبيرتوزاباتار على قدم ليو؛ ما أدى إلى كسر في العظمة الخامسة من مشط القدم اليسرى. خضع ليو لعملية جراحية، تخللها وضع مسمار لتثبيت العظم، وزراعة جلد للمساعدة على تسريع الشفاء.

كان قد أدى جيداً في المباريات التي سبقت هذه المباراة، «لكنني (الكلام هنا له) لم أُسجّل بعد. يتعين عليّ إنجاز تلك المهمة». لقد تمكّن من تسجيل (هاتريك) هو الأول له على المستوى المتقدم (تمكّن قبلاً من تسجيل حتى أكثر من ثلاثة أهداف في المباراة الواحدة. ولكن، كان ذلك في أقلّ المباريات شأنًا)، وعلى الرغم من أنّه (الهاتريك) لا يجلب النصر للفريق، إلاّ أنّه يكفي - على الأقلّ - لحماية البارسا من موقف حرج؛ فكما يقول ليو: «لأنّ الخسارة من الريال مريرة دائماً». ليس ذلك فحسب؛ إذ يتيح له هدف سجّله عرض رسالة كتبها تحت قميصه، مفادها «شُدّ من عزيمتك يا عمّاه»، رسالة وجّهها لعرّابه الذي كان قد فقد والده آنذاك. إنّها طريقته في إظهار دعم لا متناهٍ في أوقات صعبة.

كان هناك إهداء آخر في تلك الليلة الساحرة، وقد جاء على صورة قُبَل طبعها على شعار النادي. فبعد الهدف الثالث، يركض ميسي مكرّراً الحركة نفسها؛ لأنّه، كما يقول: «أدين بالكثير للبارسا على ما فعلوه من أجلي عندما أُتيحت لهم الفرصة، وأدين أيضاً للمشجعين على الحبّ الذي غمروني به، خاصة في أثناء الأشهر الصعبة الماضية». لقد غيّرت هذه الأهداف الثلاثة مسار موسم حافل بالمفاجآت غير السارة.

سيلعب ليو باستمرار، بدءاً بالعاشر من شهر آذار، وسيحرص على عدم ضياع أيّ فرصة متاحة، ولن يكتفي بتسجيل الأهداف فحسب، بل سيصنع تحفًا فنية أيضًا.

